أتحدّى من دنا ومن عَلا !
كلُّ أهل البؤس جُندى فى الملا
بايعونى ، إنهم قالوا : « بلَى » !
ربَّ عرش مِن حُلَى الملك خلا

إيهِ يا قلبى ، تَخيَّرْ مصرعكْ حيلةٌ مّا بعد ذا لن تنفعكْ !
إن تهنْ للدهر يوماً صدّعكْ إن تصب فاجمعهُ ، لا أن يفجعكْ !
حاربْ البؤسى تؤيد منزعكْ !

محمد زكى ابراهيم

الرجوع

خرجتُ مِن الديار أجرُّ سُقمى وعُدْتُ الى الديار أجرّ ساقى
أتدفعنى وقد هاضت جَناحى وتجذبنى وقد شدَّتْ وثاقى ؟

ابراهيم ناجى

على السجية

هل آملٌ يُقضَى له نُجحُ أم ذاك ليلٌ ما له صُبحُ ؟
أطلب عند الله نيلَ المُنَى والله يُرجَى عنده الفتحُ

لا مثل ما يعطى الورى مِنّةً ... يُعطى ولكن منحُه المنحُ
وليس همّى مَنصبٌ مَطمعٌ ... أو غيضةٌ قام بها صَرْحُ
لكنها حسناء بَهنانةٌ ... وسنانةٌ وجدى بها بَرْحُ (١)
أعطافها من ثِقل أردافها ... تشكو. فما بينهما صُلحُ
ممشوقةٌ هيفاء ممكورةٌ ... لفّاء لم يُزدِ بها كدْحُ (٢)
ماجت كموج الماء أطرافها ... نضارةً واهتضم النكشحُ
وغلّقتْ أجفانها فترةٌ ... من سكرة الحسن فما تصحو
بَلهاء ما غضّنَ من وجهها ... عُجْبٌ ولا خامرها بَجحُ (٣)
لو عَرضتْ والخلد فى معرضٍ ... لناسكٍ قال هى الربح
عاشقُها حِرْباءُ شمسٍ له ... وِجْهتها من لوعةٍ شَنْحُ
شمسٌ على رمحٍ ولكنها ... تفعلُ ما لا يفعل الرمحُ
تبرُقُ كالسيف وفى طرفها ... قد كمنَ الأثخانُ والذبحُ
طلعتها برءٌ ، وألفاظُها ... طِبٌّ ولكن صَدُّها جرْحُ
يَظلُّ مَسحورٌ بألحاظها ... فى غمرةِ الحبِّ له سَبحُ
كأنّ قُرطيها إذا أشرفتْ ... نجما سماءٍ لهما لمحُ
زادت سنا إذ حَجّبوا حُسنَها ... والبدرُ لا يحجبهُ الجِنحُ
والروضة الغنّاءُ إن حُجّبَت ... أزهارُها نمّ بها النَّفحُ
كأنّ فاها عند تقبيلها ... صهباء بالمسكِ لها جَدْحُ (٤)
كأنها ماءٌ على زُبْيةٍ ... للبرقِ فى حافاتها قَدْحُ
هبّت به ريحٌ فريحٌ ففى ... جِمامهِ من عَرْفها نَشحُ
والسلّ ما بين الحصى فانجلى ... عنه القذى واستُخلِصَ المحُّ (٥)

---

(١) البهنانة : اللينة فى عملها وكلامها أو البسّامة الخفيفة الروح .
(٢) الممكورة: المفعمة التامة الخلق . (٣) البجح :الدعوى والفخر المزج . (٥) المحّ : خالص كل شىء ،وهو أيضاً صفار البيض .

حتى جَرى يشفى غليلَ الصدى ... مِن بَرْدِهِ التنضاحُ والرشحُ
أشربُ ماء الحسن مِن وجهها ... بالعين والقلبُ به نفحُ
وأنضحُ القلبَ بترشافها ... فَيستثيرُ الوقدةَ النضحُ
كأن فى صدرى خضماً من الأ ... شواق لا يُنضبه النزحُ
وإذ تَلاقينا على رِقْبةٍ ... أقبل صفحٌ ونأى صفحُ
قالت : أما تخشى العيون التى ... لها الينا أبداً لمـــح ؟
قلتُ : متى لبَّيتُ داعى الهوى ... سيَّان عندى المدحُ والقدحُ
انى امرؤٌ لا أتقى شانئاً ... بسعى ولا يَختيلُنى المدحُ
إن كان مَنْ يعشق مَنْ يدَّعى ... حباً فانى عاشقٌ فُحُّ
قد طحنَ الحبُّ عظامى فما ... يبرحنى ما طُحِن القمحُ
أرسَخُ منطوحٍ ولكننى ... من شيمتى الأيهان لا النطحُ
يَضرح منى الدهر فى كيده ... ملساء لا يوهنها الضرحُ (١)
أرضحُ من أرزائهِ عكَّناً ... كالدرِّ لا يقطعها الرضحُ (٢)
قد علم الناس وان أنكرت ... جهالهم أنى أنا المِلحُ
بُصِّرتُ بالدنيا فمن صَرفها ... وعظٌ ومن إيجازها شرحُ
طرَّحتُ فيها نظرى فاحصاً ... فغاية الضنِّ بها طَرحُ (٣)
كالبحرِ يُخفى دُرَّه قاعُـــه ... سِفلاً ويُبدى الجيفَ السطحُ
كم مر رَدْحٌ وأفاعيلُها ... فبنا مَوَاضٍ وأنى رَدْحُ
نَحسبنا منها بمنـــدوحةٍ ... وأين ، لا أين بها النَّدحُ ؟
ونُلقح الأحداثَ آمالَنـــا ... وما لديها يُنتجُ اللَّقحُ
نمسحُ منها مُسنتاً حائلاً ... عجفاء لا يُدرِرُها المسحُ (٤)

لساء : الصخرة والضرح بالضاد المعجمة : الدفع والابعاد (٢) الرضح كسر ، ،ولا يقطعها لا يفنيها (٣) تطريح النظر : تبعيده (٤) المسنت : التى دب ،والحائل التى لم تحمل وهى من البهائم كالعاقر من النساء .

تُسلسُ لا دَرّاً ولكنها تَغتلُ حتى ينكأ القَرْحُ (١)
تجنى ولا تجنى ومن دأبنا ننسَى وما من دأبها الصفحُ
طَوّفتُ فيها ليس فى مطمحى قَسْرٌ ولا فى ونبتى جَمْحُ
فكنتُ فى مَتْحى لها وارداً ناضبةً حرمانها المتحُ (٢)
وها أنا اليومَ تجنبتُها لا أثبت الأمرَ ولا أمحو
رَوّضت نفسى بعد تجماحِها فما الذى يَبْلغُهُ الكَبْحُ
إليكِ يا دنيا فانى امرؤٌ خِرْقٌ بما تحوينه سَمْحُ (٣)
لا يخدعنّى منك ما يُطْنِبى قد استوى رَغْنُك والسفحُ (٤)
إنى لمن قومٍ غدا جارهم كالنهب لا يُحْمَى له مَرْحُ (٥)
يمزَحُ قومٌ بعد جِدٍّ لهم حيناً وهم فى جِدّهم مَزْحُ
فى طبعهم شُحٌّ وفى لفظهم قَبْحٌ ، وفى أشعارهم قُبْحُ
لم أدْرِ إذ ينشد من قدّموا أذاكَ شِعْرٌ منه أم سَلْحُ
يَنعَبُ لا يعلم من جهله أهْوَ نعيبٌ منه أمْ صَدْحُ
غرابُ أطلالٍ له عائفٌ هزلاً غدا ينحو الذى ينحو
أنصحُهمْ والغىّ فى خُلْقِهم طبعٌ فما يُجديهم النُّصحُ
لو عَضُداً منهم أرى لاغتدى طوفانَ نوحٍ ذلك السَّفْحُ
لكننى فى غُربةٍ بينهم وذاك عِبءٌ حَمْلُه فدْحُ
فلا يزلْ همُّهمو ناصباً ما قَمطوا أو أورقَ الطلحُ (٦)

عبيب عوض الفيومى

---

(١) نكأ القرح قشره قبل أن يبرأ (٢) المتح : رفع الماء (٣) الخرق بكسر الخاء : المعطاء الكريم (٤) مايُطنِّى : ما يُشتهَى ويشتهَى ، والرغن رأس الجبل (٥) السرح : الحال السارح (٦) الطلح : شجر الموز

الشاعر

يناجي مصدرَ إلهامه

سجد الشاعرُ في خشوع تحت قدمي قبس الجمال المشعّ بنور الله البهي المجسّم في قطعة الفن المحيطة بالوجود التي تبدو أمام الرائي كأنها محدودة في شخص المرأة .

سجد الشاعر في خشوع مستجدياً الرحمة من باسطة الرحمة ، من مانحة العذاب ، من نسيم الحياة ، من سموم الهلاك ، من جحيم الشقاء ، من فردوس النعيم : من المرأة .

سجد الشاعر سجود المأخوذ المذهول أمام الجمال النوراني السحري الذي وسعه جسمٌ محدود على اتساعه ، وبينما الشاعر في نشوة السجود والتسبيح والتبتل أمام ربة الجمال المسيطرة على الحواس والعواطف ، بينما هو كذلك اذا به يرى لهيباً تمتد اليه السنته فيولي مذعوراً ويتراجع الى الوراء صامتاً وتمتلىء جوانحه بالرعب . ولولا أن الذعر كم فمه لندّت منه صرخة عظيمة يكفهرّ لها جو العالم ويمتلىء بالدخان الكثيف . غير أنه سرعان ما ومضت من خلال اللهيب ابتسامة أشرقت لها دنيا الشاعر المحدودة بالضياء ، المعبودة أمام تمثال الجمال والسحر خجلى . فاستأنست لهذه الابتسامة روحُ الشاعر بعض الشيء ، وهدأ رعبه تدريجياً . وسرعان ما اندفع في فضول الشعراء يسأل ربة الجمال والسحر عن سر هذا اللهب فتجيبه بابتسامة أخرى : لا لهب ما ترى يا شاعري ، وانما ترى العاطفة الثائرة ، عاطفة الحب ، تمتد لتعانق الفجر لتذوب في الشمس وتمتزج مع الضياء ، فتتشكل بألوان الشمس عند طلوعها وتبسط الضياء على أرجاء الكون لتمنح كل قلب قسمته من الحب الطاهر والعاطفة الملائكية ! وما هذا الوميض الذي أضاء أمام عينيّ العالم المظلم الكئيب ؟ هذا ابتسامي يا شاعري أرسله على العالم كلما بصرت بادجان يريد أن يغزوه أو حزن محضٌ يريد أن يلج صدر بائس مثلك ، ولولا هذا الوميض من الابتسام الذي تراه الآن لتخبطت في طريق مظلم شائك يكون في نهايته قبر مظلم ذو حسك مسموم حيث الفناء وحيث العدم يعبثان بجسمك النضر النضير ! وفجأة رنّت ضحكة عذبة مسكرة من جهة مصدر الصوت سكر من حلاوتها الشاعر فوقع فاقدَ الوعي ، وعندما أفاق وجد نفسه في حضن المرأة التي أمطرت فاه بالقبل وأشبعت جسمه بالضم وأضاءت جوانب روحه وألهمتها الأغاني القدسية السماوية الصادرة من إلهة الحنان والرحمة

المنسكبة مع ضياء الفجر الجميل على براعم الورود العطرية الندية التى اشتار الشاعر منها خلاصة نطاف أندائها ، وراح يسقى منها أرواح الناس عسلاً مصفى لذة للشاربين؟

الجزيرة أبا — السودان بشرى الصير أمين

خصائص شعر أبى العلاء

« ١ »

لم يقنع « أبو العلاء » بنظم الشعر العربى بما قنع به غيره من الشعراء الأقدمين ، بل اختط لنفسه طريقة جديدة سواء أكان فى المعانى أم فى النظم : فانه حين رأى أن الشعر العربى باب من أبواب الباطل ، صمم على تركه بعد أن نظم « سقط الزند » الذى سار فيه على منهاج الشعراء المتقدمين من المديح والرثاء والهجاء والفخر وما الى ذلك ، ولهذا تراه يقول فى مقدمة « سقط الزند » :

« وقد كنتُ فى ريان الحداثة وجنّ النشاط مائلا فى صفو التعريض اعتدُّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ ، ثم رفضته رفض السقب غرسه والرأل تريكته ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب ، وليس الرى عن القفاف ويعلمك بجنى الشجرة الواحدة من ثمرها ويدلك على خزامى الأرض النفحة من رائحتها » .

ثم ترك أبو العلاء هذا اللون من الشعر ولم يرجع اليه بعد ذلك ولكنّ للسرى آراء وأسراراً لا بد أن يذيعها ويريد بعد ذلك أن يلقيها الى أسماع قوم عندهم استعداد لفهمها فنظم « لزوم مالا يلزم » لعلمه أن قراء الشعر انما يكونون على الأغلب الأعم من سواد الخاصة ، ولا كذلك النثر ، وثمة لجأ الى التصريح تارة والى التلميح أحياناً :

« فَطِنُ الحاضرين مَن يفهم التعريضَ حتى يظنّه تصريحا »

واسمع اليه حين يبرر رجوعه الى نظم الشعر ثانية فى مقدمة لزومياته فيقول :

« وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : انى رفضت الشعر رفض السَّقْب غرسه ، والرَّأل تريكته ، والغرض ما استجيز فيه الكذب واستعين على نظامه بالشبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وايقاظاً للمتوسّن ، وأمراً بالتحرُّز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف الى ما

سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطق به من النظام لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب من الكلام البرّة ، ولذلك ضعف كثير من شعر « أمية بن أبى الصلت الثقفى » ومن أخذ بفرّيه من أهل الاسلام ، ويروى عن الاصمعى كلامٌ معناه : « ان الشعر باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضَعُفَ » . وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح وزينوا ما نظموه بالغزل ووصفة النساء ونعوت الخيل والابل وأوصاف الخمر ، وتسببوا الى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفكر ، وهم أهل مقام وخفض فى معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حثّ الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس الشقاء » .

« ٢ »

اختط المعرّى لنفسه طريقة جديدة فى النظم أيضاً ، فانه لم يكتفِ بأن تكون قافيته على حرف واحد شأن غيره من الشعراء ، بل تعداه إلى أكثر من ذلك فقال :

سيسأل ناسٌ : ما قريشٌ ومكةٌ ... كما قال ناسٌ : ما جديسٌ وما طسمُ ؟
أرى الوقت يُفنى أنفساً بفنائه ... ويمحو فما يبقى الحديث ولا الرسمُ
لقد جَدَّ أهلُ الملعبين فأثّلوا ... بناءً ولم يثبت لرافعه وَسْمُ
وفى العالم الغاوى بخيلٌ مموّلٌ ... وسَمْحٌ فقيرٌ ، شدَّ ما اختلف القسمُ
وكونُ الفتى فى رهطه نيلُ عزّةٍ ... على أن داء الدهر ليس له حسمُ
ويرزأ جسمُ المرء حتى إذا أوى ... إلى العنصر الترابىّ لم يُرزأ الجسمُ

فقد التزم فى القصيدة كما ترى حرفى السين والميم ، ثم قال :

اذا قيل : غالَ الدهرُ شيئاً فانما ... يُراد إلهُ الدهرِ والدهرُ خادمُ
ومولدُ هذى الشمس أعياك حدُّه ... وخبَّرَ لبٌّ أنه متقادمُ
وأيسرُ كونٍ تحته كلُّ عالم ... ولا تدرك الاكوان جُرْدٌ صلادمُ
اذا هى مرّت لم تعد ووراءها ... نظائرُ ، والأوقاتُ ماضٍ وقادمُ
فما آبَ منها بعد ما غابَ غائبٌ ... ولا يعدم الحينَ المجدَّدَ عادمُ
كأنك أودعتَ النمائل أنفساً ... وأنت على التفريط فى ذاك نادمُ

وما آدمٌ فى مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمُ
تخالفتُ الأغراضُ : ناسٍ وذاكرٌ وسالٍ ومشتاقٌ وبانٍ وهادمُ

فانت تراه فى هذه المرة يلتزم حروف الالف والدال والميم بكل بيت ثم يقول :

طلبَ الخسائسَ وارتقى فى منبر يصف الحساب لأمةٍ ليهولها
ويكون غير مصدقٍ بقيامةٍ أمسى يمثّل فى النفوس ذهولها
ووجدتُ ليلَ الغىّ ألبس مُردها وشيوخها وشبابها وكهولها
لو قام أمواتُ العواصم وحدها ملأوا البلادَ حزونها وسهولها
فخُذِ الذى قال اللبيبُ وعِشْ به ودعِ الغواة كذوبها وجهولها

فانت تراه فى هذه المرة يأخذ نفسه بالتزام حرف الهاء والواو واللام والهاء والألفُ فى أبيات القصيدة كلها ، وانظر الى قوله :

اذا دارت الكأسُ فى دارهم فقد رحلَ الدينُ عن دارهم
فما وفّقوا عند إيرادهم ولا وفّقوا عند اصدارهم
وفى رفع أصواتهم بالغناء دليلٌ على حطّ أقدارهم
فان كنتَ خدناً لهم فاحبُهم جفاءً على قرب مزدارهم

فكم حرفاً التزم فى هذا القصيد ؟ لقد التزم حروف الدال والألف والراء والهاء والميم فى كل بيت نظمه ، وأما أعجب قوله :

يا أمةً فى التراب هامدةً تجاوزَ اللهُ عن سرائركم
يا ليتكم لم تطؤا إماءكم ولا دنوتم الى حرائركم!
إن استرحتم مما نكابده فنحن مِن بعدُ فى جرائركم
قد خطب الخاطبون نسوتَكم وأسكتَ الحسّ من ضرائركم
ذرّ البلى فوقكم رمادته ولم تعودوا إلى ذرائركم
لو شاء ربى أمرٌ مقتدراً ما نقضَ الموتُ من مرائركم

فقد التزم فى هذا القصيد ستة أحرف ، والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى فليرجع اليها من شاء فى « لزوم ما لا يلزم » ، وذلك مما يشهد له بالتفوق فى اللغة

ومما يبطل حججَ الضعفاء الذين ينادون بعدم تقيد الشعر العربى بالقافية الواحدة فى القصيدة الواحدة ستراً لعجزهم وتبريراً لضعفهم .

« ٣ »

وكما اختص شعر أبى العلاء بلزوم ما لا يلزم حتى صار هذا القيد شعاراً له وعلماً عليه ، فلم يستطع شاعر أن يجاريه فى ذلك مهما أوتى من القوة ، وأصبح قصارى الشاعر المجيد منهم إذا أراد أن يحاكى أبا العلاء فى ذلك أن ينظم القصيدة أو القصيدتين بعد جهد مضنٍ ، وأين هذا الجهد الضئيل من قدرة المعرّى على نظم سفر ضخم لا تقل أبياته عن أحد عشر ألف بيت من الشعر الرائع الأخاذ؟! وليست هذه هى أكبر مزية للمعرى فى هذا الديوان الحافل بأروع ما خلفته العبقرية الانسانية ، فانك لتدهش أشد الدهش حين يطالعك أبو العلاء بطريقته الفذة التى سلكها فى بعض شعره ، والتى أفردته افراداً من بين شعراء العربية قاطبة ، وهى تمكنه وتلاعبه بالألفاظ والمعانى على السواء متوخياً تفسير الألفاظ الغامضة فى شعره حتى لا يسأم القارىء فتراه يقول مثلاً :

فلا يمس فخّاراً (من الفخر) عائد ... الى عنصر الفخار للنفع يضربُ
لعلّ اناء منه يصنع مرة ... فيأكل فيه من أراد ويشربُ
ويحمل من أرض لأخرى وما درى ... فواهاً له بعد البلى يتغرّبُ !

« ٠ »

وكل أديبٍ (أى سيدعى الى الردى ... من الأدب لا أن الفتى متأدب)

« ٠ »

نوديت ألويت فانزل (لا يراد أتى ... سيرى لوا الرمل بل للنبت إلواء)

« ٠ »

راعتك دنياك (من ريع الفؤاد) وما ... راعتك فى العيش (من حسن المراعاةِ)
إن شئت ابليس أن تلقاه منصلتاً ... بالسيف يضرب فاعمدْ للجماجاتِ

« ٠ »

يا صاع (لست أريدُ صاع مكيلة ... فأضيفه لكن أرخّم صاعدا)
لا تدنوَنّ من الشرور وأهلها ... فتكون من أهل العلى متباعدا

« • »

فزن (من الوزن) لفظاً حين ترسله وزن (من الزين) اعطاءً بترويج

« • »

خُيِّرْتَ (من الخمار) وذاك نحس وأما من خمارك فهو سعدُ

« • »

أقصرتُ (من قصر النهار) وقد أتى منى الغروب وليس لى إقصار

« • »

وأتت على الأكوار (جمع الكَوْر) والـ ـكُور المسرَّح هذه الأكوار

« • »

قرنك (من القرى) وقرت بهلك وأقرت عبأها وقرت شرورا

« • »

غفرنا (وما أعنى اغتفاراً) وإنما عنيت انتكاس البرء لا كرمَ الغفرِ

« • »

إن قلت صفّوا بإلغاز فمعتمدى صفواً (من الصفو) لا صفو من الكدرِ

« • »

أسنيت (من مر السنين) ولم أرد أسنيت من ضوء السنا البهار

« • »

وفوائد الأسفار (جمع السِّفر) فى الدنيا تفوق فوائد الأسفار

« • »

إذا أوجدت يوماً (من الوُجد) أوجدت من (الوَجد) هذا خَلقها وهو أشرس
متى ما تحاول فارساً (من فراسة) فانىَ من زيدٍ وبسطامُ أفرسُ

« • »

إن تراعوا (من المراعاة) ربا لا تراعوا بالروع من ذات رمض

« • »

تمسكْ بتقوى الله (لست بقائل تمسك) ومعناى السوار أو المسكُ

« • »

ومعتزلى لم أوافقه ساعة أقول له فى اللفظ دينك أجزلُ
أريد به (من جزلة الظهر) لم أرد من الجزل فى الأقوال تاوَى وتجزَلُ

« • »

ساحليون (لم أرد ساحل البحر) ولكن نسباً لاقر ساحل

« • »

هل تسمعون فانى فارس أربى (من الفراسة) إذ للحرب فرسان

إلى آخر هذه الأبيات التى تكثر فى رُومياته ، وما أحسبنى فى حاجة إلى تقصّيها فى هذه الالمامة الموجزة .

وليست هذه كل مزاياه فانه كثيراً ما يلجأ إلى تضمين آراء الشعراء وأقوالهم فى شعره فتراه يقول :

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير آية سلكوا

أو يقول :

من قال صاحب لثام الناس قلت له قول ابن أسلت قد أبلغت أسماعى

ومن خصائصه النادرة تلك التشبيهات المبتكرة التى يربط بها المعانى الرائعة بالصرف والنحو وما إلى ذلك ، كقوله :

أعللت علة قال وهى قديمة أعيا الأطبة كلهم ابراؤها

وقوله :

ما لى غدوت كقاف رؤبة قيّدت فى الدهر لم يقدر لها اجراؤها

وبعد ، فان خصائص المعرى أعظم من أن تحيط بها كلمة مقتضبة موجزة كهذه الكلمة ، ولكننا أردنا أن نشير اليها إشارة سريعة آملين أن نعود اليها بشىء من الافاضة متى أمكننا الوقت ، وأتيحت لنا الفرصة ؟

سير ابراهيم

ذكرى

وقفةٌ قبلَ المسيرْ ذكرُ رَمْلٍ وزبدْ
ذكرُ نُورٍ شعَّ فى ظلمةِ الليلِ البهيمْ
عاشَ لحظاتٍ مضت وانطفى حتى الابدْ !

* * *

غريب

وُلدتُ غريباً فى الحياة وانى أسامر أفكار الفَناء المعذَّبِ
فياليتَ رُوحى لم تجد فيه مسكناً ولا امطرت عينى دموعَ التغرُّبِ

* * *

اعصفى يا رياح

إعصفى يا رياحْ
كيفما شئتِ
فانى لست أدرى ما الهدوءْ
واقصفى يا رعودْ
كيفما شئتِ
واهلعى القلب الضعيفْ
ان قلبى ليس تخنيه رياحْ
لا ولن يهلعه قصف الرعودْ !؟

جرمانوس لطفى

طرائف العظماء

لقى غلامٌ أبا العلاء المعرى فقال : مَن أنت أيها الشيخ ؟ فأجاب : فلان . فقال الغلام : أنت القائل فى شعرك :

وانى وان كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

قال : نعم ، فقال الغلام : يا عمّاه ! ان الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً ؟ فدهش المعرى ولم يحر جواباً .

« ٠ »

كان الشاعر (شلى) يتلهى فى أوقات فراغه بتعويم مراكب تصنع من ورق الكتابة على شاطىء نهر التاميز حتى رُوى عنه أنه لما كان يعوزه الورق كان يعمد الى ورق المصارف (بنك نوت) فيصنع منه مركباً على نحو ما يصنع الأطفال ثم يعوّمه فى الماء !

« ٠ »

قيل إن (ديوجنيس) زعيم فلاسفة اليونان كان يزيف النقود فى حداثته ، ولما افتضح أمره فرّ هارباً الى أثينا خوفاً من القصاص الذى يلحق مقترفى هذا الجرم ، وهناك قصد (انتثينس) ليقرأ عليه الفلسفة فرفض أن يقبله محتذراً بأنه آلى على نفسه ألاّ يعلم أحد ، وأما ديوجنيس فتغلب عليه وذلك ان الأخير تهدده بالعصا إن لم يبادر بالخروج من داره فأجابه مطأطئاً رأسه : اضرب ولكن اعلم أنك ما دمت تتكلم لست أبالى بضرب العصا ! فسُرّ الفيلسوف وقبله تلميذاً .

« ٠ »

كان (وردسورث) يدرس دائماً فى الخلاء ، وروى عن أحد الناس انه جاء لزيارته ليشاهد غرفة درسه فأراه الخادم غرفة قال : انها مكتبة سيدى ، أما هو فيدرس فى الحقول !

« ٠ »

كان كليليوس الفيلسوف الرواقى مصارعاً ثم سقّاء لحدائق بعض الاشراف بأثينا وكان فيثاغورس صاحب الفلسفة المشهورة ابن صائغ وأوربيدس الشاعر التمثيلى ابن

بستانى وديمستينى ابن أحد صناع الأسلحة ، وفيرجيل ابن فاخورى ، وشكسبير ما كان أبوه الا صوافاً ، وابن جونسون كان أبوه طوّاباً ، وروبرت برنز الشاعر الظريف كان حراثا ، وجون كيتس الشاعر الخالد كان عطاراً .

وكان أبو كارليل بناء وأبو الشاعر الفحل المتنبي سقاء وكذلك أبو تمام وكان يعمل فى جامع مصر بل قيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق وكان بشار بن برد رقيقاً وُلد فى الرق فاعتقته امرأة .

« ٠ »

لم تظهر على الكونت تلستوى فى صغره أى نجابة بل كان بالعكس محباً للهو واللعب والحاق الأذى بالناس يكره الدرس سريع التأثر . وقد ذكر فى كتابه (الطفولية) ان خاطراً جاش فى صدره يوماً وهو ان الموت فى انتشار الانسان دائماً فيجب على الانسان أن يغتبط بحاضره ويدع المستقبل وشأنه وانقياداً لهذه الفكرة ترك الدفاتر والمحابر والكتب وهرع الى اللهو واللعب فكثيراً ما شارك أباه الصيد والقنص ولازم الحوذى فى عربته يطوفان بالقرى المجاورة .

نقولا حنا ابراهيم

انا والسعال

بينى وبينك يا سُعالُ فى كلِّ آونةٍ نزالُ
فى الصبحِ ، فى غسقِ الدجى يقسو ويشتدّ النضالُ
أشعلتَ نارَ الحرب فى جسدٍ أضرَّ به الهزالُ
وجعلتَ منى الصدرَ ميـ ـداناً يسود به القتالُ
لكَ الانتصارُ اذا الرحى دارت ولى أنا الانخذالُ
حاربتَنى ، فغلبتنى والحربُ عادتها سجالُ

***

الحربُ قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ لا تزالُ

قد خُضتُها كرهاً ، فهل مِنْ هدنةٍ فيها أنالُ ؟
ما لى بحربكَ طاقةٌ كلاَّ ولا عندى احتمالُ

***

عبد الهادى الطويل

ويقولُ اخوانى وقد شهدوكَ عندى ياسعالُ :
خُذْ مدفئاً يذهب ولا يبقى له حتى الخيالُ
ثم اتّخذْ لك شملةً يقطع سعالك الاشتمالُ
فأخذتُ ما وصفوه لى وفعلتُ ما أمروا وقالوا
وشربتُ ناراً رغم نا رِ فى الضلوع لها اشتعالُ
ثم اشتملتُ وخلتُ أن حسنتْ لهذا الصدر حالُ
فاذا بدائى فى الحشا والصدر ليس له زوالُ
فسألت غيرهمو فما أغنى الجوابُ ولا السؤالُ

حتى يئستُ وخانني جَلدى وأدركنى الملالُ
وعلمتُ أن البرء مما قد أصبتُ به محالُ

* * *

لم يبق عندى مَلجأٌ الا الرضا والامتثالُ
فافعلْ بصدرى ما تشا فليس لى فيك احتيالُ
إنى اذا ما متُّ لَمْ نَجزع على موتى النّصالُ
لكنْ سيندب مصرعى شعرٌ يَحفُّ به الجلالُ

عبد الهادى الطويل

ابو الطيب المتنبي

أخلاقه وصفاته

مفخرة من مفاخر الأمة العربية، وثروة غالية من ثروتها الأدبية الرائعة، «ملأ الدنيا وشغل الناس»[1]، الشاعر العبقرى الخالد، السائر على الألسنة ما بقى الدهر. ألم يصح ما قال:

وما الدهر الاّ من رواة قصائدى اذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به مَن لا يسير مشمراً وغنّى به مَن لا يغنى مغرّدا
ودعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتى فانني أنا الطائر المحكىّ والآخر الصدى

* * *

اذا تصفحتَ ديوان المتنبي لتقرأه تلمس شخصيته فى كل قصيدة من قصائده، بل فى كل بيت من أبياته تعثر على ناحية من نفسيته الفذة التى هى مجموعة خلال وصفات تفرّد بها فكانت مثلاً أعلى للرجولة الحقة، للنفس الكبيرة العبقرية ذات الموهبة والكفاءة كما ستراها الآن.

للمتنبي نفس طموحة الى المجد، طامعة فى العلاء والرفعة، راغبة فى العظمة والخيلاء، متعطشة الى السيادة والحكم، توّاقة الى أسمى المراتب وأعلى المناصب الى مالا يفتكر فيه سواه ولا يخطر على قلب بشر.

---

(١) ابن رشيق فى العمدة

أريد من الأيام ما لا يريده سواى ولا يجرى بخاطره فكرا

وبالفعل فقد ادعى النبوة ولكنه فشل كما تعلم فالتفت الى الملك والولاية :

فارْمِ بى ما أردتَ منى فانى أسَدُ القلب آدمىُّ الرواءِ

وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يُرَى من الشعراءِ

يعتدُّ أبو الطيب بنفسه لدرجة أن لا يفضله انسان ولا يفوقه أحد :

إن أكن معجباً فعُجب عجيبٍ لا يرى فوق نفسه من مزيدِ

لم يضارعه أحد ولم يجد له صنوا :

أمط عنك تشبيهى بما وكأنه فما أحدٌ فوقى ولا أحدٌ مثلى

فخيرة أهل زمانه كما يصفهم :

أذم الى هذا الزمان أُهيلَه فأعلَمُهم فدْمٌ وأحزمُهم وَغدُ

وأكرمُهم كلبٌ وأبصرُهم عَمٍ وأسهدُهم فهدٌ وأشجعُهم قردُ

وعامة الناس عنده أشبه بالحيوانات والبهائم :

تلقى بكل مكانٍ منهم خلقاً تخطى إذا جئت باستفهامها بمن

هو ذو همة شديدة وجلد صليب على قطع البلاد :

أبداً أقطع البلاد ونجمى فى نحوسٍ وهمتى فى سعودِ

فيتعب بالراحة والاقامة ويستريح بالتعب والمشقة :

ذرانى والفلاة بلا دليلٍ ووجهى والهجير بلا لثامِ

فانى أستريح بذى وهذا وأتعب بالإناخة والمقامِ

فمن تعوّد على القتال والطعان لا يأنس بالراحة التى تكون احياناً مدعاة للضر بجسمه :

يقول لى الطبيب : أكلتَ شيئاً وداؤك فى شرابك والطعامِ

وما فى طبّه انى جوادٌ أضرَّ بجسمه طولُ الجَمامِ

تعوَّد أن يغبِّر فى السرايا ويدخل من قتامٍ فى قتامِ

المتنبى قوى ، جرىء ، مقدام ، بطاش لا يرهب قوة ولا بأساً ولا يجزع حتى من ملاقاة الحمام :

ذكرت جَسِيمَ مطَّلبى وإنا نخاطر فيه بالمهَجِ الجسامِ

أمثلى تأخذ النكبات منه ويعجز عن ملاقاة الحمام
ولو برز الزمانُ الىَّ شخصاً لخضّب شعر مفرقه حسامى ؟!

يزعم أن قوته لا تدانيها قوة الجيوش فيمتو ويسطو على العاتين والساطين :

لتعلم مصر ومن بالعراق ومَن بالعواصم أنى الفتى
وانى وفيت وانى أبيت وانى عتوت على مَن عتا

المتنبي عصامى لم يتشرف بأهله بل تشرف بنفسه :

لا بقومى شرفتُ بل شرفوا بى وبنفسى فخرتُ لا بجدودى

وعصاميته أكسبت قومه فخراً عظيماً جعلتهم مفخرة العروبة :

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجانى وغوث الطريد

ويكفى أن يكون لأحدهم صلة به لينال الشرف الخالد والفخر الأثيل كما قال فى رثاء جدته :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لى أمّا

المتنبي لا يعرف القناعة فذو المطامع الكبيرة والآمال البعيدة والمطلب الذى لا يدرك ولا يحدّ لا يرضى بالاقلال ولا يقنع بميسور العيش :

وفى الناس مَن يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبىّ ما له مدى ينتهى بى فى مراد أحده

المتنبي ألوف ، وفى ، مخلص ، لا يحمل قلبه حقداً ولا يوغر صدره غلا :

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا!

يحفظ الجميل ولا ينكر المعروف ،يغفر الاساءة لصاحب الفضل :

فان يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللائى سررن ألوفا

المتنبي كتوم للسر لا يبوح به ولو شرب :

وللسِّرِّ منى موضعٌ لا ينالُه نديمٌ ولا يفضى اليه شرابُ

أبو الطيب صادق فى قوله وعمله :

لقد أباحك غشاً فى معاملتى مَن كنت منه بغير الصدق تنتفعُ

لم يعشق المتنبي لأن العشق مظهر من المظاهر الباطلة فضلا عن أن لحاظ الغانيات لم تنفذ الى قلبه :

وما العشقُ الا غرة وطماعة يعرِّض قلب نفسه فيصابُ

وغير فؤادى للغوانى رمية وغير بنانى للزجاج ركابُ

يعاشر أبو الطيب الكرام وينبذ اللئام الناقصين حتى اذا وجد من أخيه عوجاً أو نقصاً يأنف منه :

وآنفُ من أخى لأبى وأمى اذا ما لم أجده من الكرام

يصون العرض ويهون عليه كل شىء فى سبيل المحافظة على عرضه من أن يتلطخ بوزرٍ أو اثمٍ :

يهون علينا أن تصاب جسومُنا وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

فيما سبق ظهر لك أن المتنبي ذو أخلاق عالية وخلال حسنة يندر أن تجتمع فى انسان كاجتماعها بشخص أبى الطيب فهو — كما بدا لك عظيماً فى شخصيته — عظيمٌ فى شعره ، عظيم فى أدبه .

حمص : نبيه عيسى العاقل

مصطفى نجيب

فى مستهلّ أكتوبر الآتى تحين ذكرى مرور ثلاث وثلاثين سنة على وفاة الكاتب الشاعر الألمعى مصطفى نجيب بك زميل المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك ومن أقطاب الوطنية الذين اعتمد على اخلاصهم وتفانيهم الحزبُ الوطنى